الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم
(دراسة موضوعية في ضوء آراء سرسيد احمد خان الهندى)

الدكتور تاج افسر*

Abstract

The Holly Quran is last divine book of righteousness for mankind. Allah almighty has himself ensured its security and sanctity. it is miracle and open challenge to bring any of the surah(chapter) of its kind .This challenge of Allah almighty remains unbeatable after the passage of centuries and will remain open for mankind till the day of judgment. For no one dares to accept this challenge of Allah almighty .The entire umah nanimously upholds miraculous entity of the Holy Quran .There are various aspects of this Quranic miracles .one among these is language .Human logic is confused whether Quranic miracle of language exist or not .and also if it is a linguistic miracle,this challenge is only for Arabs or for the whole mankind .Ahle sonnet school of thought believe in the Quranic miracle of language .However some other scholars are of the opinion that Quranic miracle lies in is guidance and righteousness not in the Arabic language .sir syed Ahmad khan strongly criticizes the Quranic miracle of language . He is strong believer of Quranic miracle of righteousness and enlightens .in the subject paper, in addition to the introduction of sir syed Ahmad khan ,his opinion and that of ahle –sonnet has been compared with logical arguments and analytical reasoning.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلوة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، سيدناو نبينا محمد و على آله و صحابة و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فلقد من الله على البشرية إذ أنزل عليهم غير واحد من الكتب ـقبل القرآن الحكيمـلهدايتهم و تطورهم المادى والحضارى

* الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد. باكستان

والعقلی والروحی ثم أنزل علیهم القرآن الکریم لیخرجهم من الظلمات إلی النور ولیحکم بین الناس فیما اختلفوا فیه.

و لما کان القرآن الکریم منزلا من عندالله تعالی ،تحدي العالم عند انکارهم فلم یستطیعوا أن یعارضوه مع کونهم فرسان البیان و شهرتهم في الفصاحة و البلاغة و عجزوا عن أن یأتوا شیئاحتی ولو بسورة من مثله. فثبت بذلك إعجاز هذا الکتاب العزیز.

الهدف من البحث:

لا شك بأن القرآن معجزة خالدة تحدی الناسأن یعارضوه فلم یستطیعوا ،وهذا قد تم الإتفاق علیه سلفا وخلفا من أمة سیدنا محمد صلی الله علیه وسلم وهوأکبر دلیل علی إعجازه ،ثم اختلفوا هل التحدی قائم للعرب أو للناس جمیعا منهم العرب والعجم مع أنهم لیسوا من أهل اللغة وکیف ذلك وهم لیسوا مکلفین بذلك لأن العجمیة مانعة من التحدی فأهل العلم انقسموا فیه إلی طوائف:

- طائفة تقول بإعجازه من جهة اللغة
- وطائفة تقول به من جهة الهدایة والتشریع لا من اللغة
- وطائفة یجمع بینهما قائلا بإعجازه اللغوی لأهلها والتشریعی لماعداها

والهدف من البحث،کشف الغبار عن الحقیقة فی الباب

أما مشکلة البحثفلقد تکلم أهل العلم في عدة نواحی من إعجازه منها: الإعجاز اللغوی والإعجاز البیانی والتشریعی والعلمی. فاخترت الإتجاه اللغوی من إعجازه فیضوء آراء أحد مفسری شبه القارة الهندیة ألا وهو سرسید أحمد خان لأنه یطعن فی أن القرآن معجزة للناس جمیعا من جهة اللغة العربیة ویرد علی مخالفیه بعنف وشدة.إذن یرد السؤال أن:

- ماحقیقة الإعجاز القرآنی ؟
- ماموقف الشیخ سر سید أحمد خان من الإعجاز اللغوی ؟و قسمت مقالتی هذه إلی مبحثین أساسیین:

المبحث الأول:

التعریف با لشیخ أحمد خان وفیه الکلام عن نشأته وتعلیمه وشیوخه وحرکاته التعلیمیة ومؤلفاته ووفاته.

المبحث الثاني:

معنی الإعجازلغة واصطلاحا وموقف سر سید أحمد خان منه

سائلا المولی عزوجل أن یتقبل منی هذا الجهد المتواضع و أن یجعله في میزان حسناتی یوما لا ینفع فیه مال ولا بنون إلا من أتی الله بقلب سلیم.

المبحث الأول:

قبل أن أتکلم عن الإعجاز اللغوی لغة و اصطلاحا و موقف الشیخ سید أحمد خان من ذلك، من الضروری أن نتعرف علی شخصیته.فنقول:

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن محمد التقي بن محمد الهادي الشهير ب "سرسيد أحمد. [i]و" سر" لقب له منحه الإنجليز [ii] تقديراً لبعض خدماته. و"سيد" كلمة تطلق- فى شبه القارة الهندية - على من يبلغ نسبه الى أحد أفراد أهل البيت[iii] و سرسيد - كما يأتى- يرجع نسبه إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

و قد ذكرسر سيد فى احد مصننفاته نسبه هكذا:

سيد أحمد خان بن سيد محمد التقي بن سيد محمد الهادى بن سيد محمد العماد بن سيد برهان بن سيد محمد دوست بن سيد عزيز بن سيد الحافظ أحمد حتى ..... إلى فاطمة الزهراء بنت رسول صلى الله عليه وسلم من جهة والده .[iv]

ألقابه:

منح سرسيد أحمد ألقابا عديدة وهي:

- **جواد الدولة عارف جنك:** لقبه بذلك الملك بهادر شاه ظفر.[v]•
- **سي- ايس- آئي:** منحه له حاكم الهند (ديوك أف أرجائل) [vi] خلال إقامته فى لندن[vii]
- **ك- سي-ايس- آئي:** لقبته بذلك الحكومة الإنجليزية فى الهند.[viii]

مولده:

ولد سرسيد أحمد خمسا من ذى الحجة سنة 1232هـ الموافق 1817م فىدهلى[ix] بالهند.[x]

---

[i]- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،عبد الحي بن فخر الدين الحسينى ،ط.ادارة تأليفات الشرقية ،ملتان،37/8

[ii]- حيات جاويد، لألطائف حسين حالى، ط.زاهد بشير برنترز،لاهور،2000م،180/1

[iii]- فيروز اللغات، ، لفيروز الدين، ط. فيروز سنز لميتيد، لاهور، باكستان، 1964م، ص، 248

[iv]- الخطبات الأحمدية فى العرب والسيرة المحمدية ، للسرسيد أحمد خان، ط. مسلم برنتك بريس، لاهور، س.ن.ص، 352،

[v]- الملك الفاضل أبو ظفر بن أكبر شاه بن شاه عالم التيموري الدهلوي، أبو ظفر سراج الدين بهادرشاه كان من الرجال المعروفين في العائلة الملكية، ولد سنة 1189ه ونشأ بدار الملك دهلي، وجلس على سرير الملك بعد أبيه سنة 1253هـ وتوفى فى مدينة(رنجون) سنة 1278هـ .(نزهة الخواطر 21/20)

[vi]- ذكره صاحب تذكرة سر سيد أحمد خان و لم أعثر على ترجمته.

[vii]- تذكرة سر سيد أحمد خان، لزاهد جوهدرى، ط.شركت برنتك بريس، لاهور، باكستان، س.ن. ص، 35

[viii]- حيات جاويد 323/1 وما بعدها

[ix]- دهلى؛ هى ثانى أكبر مدينة هندية بعد مومباي. تقع دهلي فى شمال الهند على ضفاف نهر جمنا يقطنها حوالي13 مليون نسمة و هى مقر جامعة دهلى بإستقلال ذاتى و لها برلمان منذ سنة 1991.[اردو دائرة معارف اسلامية، ط دانش كاه بنجاب،لاهور، طبعةالثانية.1980م.9/496-507]

نشأته:

نشأ سرسيد أحمد فى جومشبع بالتصوف فوالده محمد التقي- رحمه الله- كان قد بايع الشيخ غلام على [xi] رحمه الله- و لازم زوايته [xii] و أمه عزيز النساء بيكم [xiii] كانت بايعت السيد أحمدالبريلوي- رحمه الله .[xiv]

و أمه هي التى تربى سرسيد أحمد فى حجرها، أما والده فكان لعزوفه عن الدنيا وملازمته زاوية الشيخ غلام علي لم يصرف عنايته إلى تربية ولده. ومن هنا كانت مسؤولية تربية السر سيد أحمد ملقاة على عاتق أمه، وقامت هي بتربيته أحسن قيام.[xv]

تعليمه:

قرأ سر سيد احمد خان القرآن العظيم على معلمة فى أسرته [xvi] ثم قرأفى الأدب الفارسى:كلستان" وبوستان" للشيخ مصلح بن عبدالله سعدي شيرازي(691 أم694هـ) و فى البلاغة:مختصر المعانى" وبعضا من "المطول" لمسعود بن عمر التفتازانى فى اللغة العربية على علماء بلدته.[xvii]

فى المنطق:شرح "التهذيب" لعبد الله بن حسين (1015هـ) "هداية الحكمة" لمير حسين الميبذى(1295هـ)[xviii]

فى الفقة و أصوله:" القدورى" و" شرح الوقاية " و" أصول الشاشى" و " نور الأنوار".

فى الحديث:" المشكاة " وقدراً صالحا من "جامع الترمذى" وبعضها من "صحيح مسلم.[xix]

[x]- حيات جاويد،25/1-26

[xi]- غلام على،هو الشيخ الإمام العالم الزاهد غلام علي بن عبد اللطيف العلوي النقشبندي البنالوي ثم الدهلوي أحد الأوليا السالكين،ولد سنة 1156هـ ببلدة بناله من بلاد بنجاب ونشأ بها، ولما توفي شيخه المذكور تولى الشياخة مكانه، فحصل له القبول العظيم وتكاثر عليه العلماء والمشايخ وعامة الناس من كل صنف وطبقة من العرب والعجم. مات سنة1248هـ [نزهةالخواطر،1055/7]

[xii]- حيات جاويد، 37/1.

[xiii]- ذكرها صاحب نزهة الخواطر و أنا لم أعثر على ترجمتها.

[xiv]- هو أحمد بن عرفان بن نور الشريف الحسني البريلوي، كان من ذرية الأمير الكبير بدر الملة المنير شيخ الاسلام قطب الدين محمد بن أحمد المدني.ولد في صفر سنة 1201هـ ببلدة رائي بريلي في زاوية جدة السيد علم الله النقشبندي البريلوي،غلب عليه شوق الجهاد في سبيل الله، قتل شهيدا سنة 1246هـ [نزهة الخواطر،899/7]و انظر نفس المصدر،1176/8

[xv]- حيات جاويد، 37/1.

[xvi]- تذكرة سر سيد، ص، 8.

[xvii]- حيات جاويد،53/1-54.

[xviii]- نزهة الخواطر،1175/8.

شیوخہ:

و اما الشیوخ الذین تلمذ علی أیدیهم کثیرون منهم:

1- الحکیم غلام حیدر خان[xx]

2- الشیخ نوازش علی[xxi]

3- الشیخ فیض الحسن [xxii]

4- الشیخ مخصوص الله [xxiii] و أسند عنه القرآن الکریم [xxiv]

تأسیس الجمعیة العلمیة بعلیکرة:

وبدأ سید أحمد خان خطته في الارتقاء بمستوی التعلیم لدی المسلمین لإیمانه بأنه السبیل إلی النهوض بهم؛ فقام بتأسیس جمعیة علمیة أدبیة في"غازي بور "[xxv] سنة 1280هـ/1863م، کان الغرض منها نشر الآراء الحدیثة في التاریخ و الاقتصاد والعلوم، وترجمة أهم الکتب بالإنجلیزیة في هذه الموضوعات إلی اللغة الأردیة [xxvi] حتی یستفید منها أکبر عدد ممکن.

[xix]- حیات جاوید،65/1.

[xx]- الشیخ الفاضل غلام حیدر بن نامدار الکشمیري الدهلوي الحکیم الحاذق، ولد ونشأ بدهلي، وقرأ العلم علی الشیخ عبد القادر بن ولي الله الدهلوي ،ثم أخذ الصناعة الطبیة عن الحکیم شریف بن أکمل الدهلوي. (نزهة الخواطر،1054/8و آثار الصنادید، ،ط. اردو اکادمی، لکنهو،الهند 1990م ص،513) (لم أقف علی تاریخ ولادته ووفاته).

[xxi]- الشیخ العالم الفقیه نوازش علي الحنفي الدهلوي أحد العلماء المذکرین، أخذ الحدیث عن الشیخ إسحاق بن أفضل الدهلوي سبط الشیخ عبد العزیز، وقرأ الکتب الدرسیة علی غیره من العلماء، وکان حلیماً قانعاً متوکلاً، حسن الأخلاق، ربما یعقد في بیته مجلس التذکیر، وربما یدعوه المسلمون في بیوتهم للتذکیر،.(آثار الصنادید، ص،528.ونزهةالخواطر،558/7-559)(لم أقف علی تاریخ ولادته ووفاته).

[xxii]- الشیخ العالم الکبیر العلامة فیض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي السهارنبوري،کان من أعاجیب الزمان ذکاء وفطنة وعلماً، لم یکن في عصره أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأیام العرب وما یتعلق بها متوفراً علی العلوم الحکمیة، توفي سنة 1304هـ [نزهة الخواطر،1328/8]

[xxiii]- هو مخصوص الله بن رفیع الدین بن ولی الله العمري الدهلوی.کان أحد الفقهاء الحنفیة ومقرئا فی دروس عمه الشیخ عبد العزیز الدهلوي ، توفی سنة 1271 ام 1273هـ [تذکرة علماء الهند، ، لرحمن علی ،مترجم:محمد أیوب القادری، ط. طبع مشهور آفست،کراتشی، باکستان 1961م، ص490]

[xxiv]- تذکرة السرسید،ص 9. و نزهة الخواطر،1176/8

[xxv]- غازي بور'مدینة ولایة أبردیش بالهند علی نهرالجنج. مرکز لزراعة الأرز والأفیون.[اردو دائرالمعارف،423/1]

[xxvi]- حیات جاوید،1 /139-140.

وعندما انتقل إلى "عليكرة" سنة (1381هـ=1864م) نقل معه مقر الجمعية التي واصلت نشاطها في نشر الأبحاث والمقالات وترجمة الكتب الحديثة، ودعم نشاطها بإصدار مجلة تحمل اسم الجمعية، كان ينشرعلى صفحاتها أفكاره الإصلاحية، ومقالاته التي تدعو مسلمي الهند على اليقظة والنهوض.[xxvii]

قام في أثناء انشغاله بالعمل الإصلاحي بإنشاء مدرستين يلتحق بهما جميع طوائف الهند، لكنه أدرك بعد فترة عدم جدوى ذلك بعد أن ارتفعت أصوات الهندوس تطالب بإيقاف التعامل باللغة الأردية والخط الفارسي في جميع المحاكم و الإدارات الحكومية.[xxviii]

تأسيس "المؤتمر التعليمى الإسلامى":

سرسيد أحمد خان إلى أن يعقد كل عام مؤتمرا خاصا بالتعليم يجتمع فيه قادةالمسلمين من أقاليم الهند المختلفة، لبحث أمور التعليم ووسائل النهوض به، وكيفية نشر التعليم الحديث بين المسلمين، وإقامة المدارس. وكان هذا المؤتمر يعقد كل عام في مدينة من أهم مدن الهند وعقد هذا المؤتمر لأول مرة سنة (1869هـ=1886م) في الكلية الإسلامية الشرقية فيعليكرة. وقد أحدث عقد هذه المؤتمرات يقظة عند المسلمين،وإثارة الوعي لديهم، وفتحت أعينهم إلى الوسائل التي تعينهم على حل مشكلاتهم وقضاياهم القومية، و ضرورة العمل على إنشاء كليات جديدة على غرار كلية عليكرة، وتشجيع المسلمين على الإقبال على التعليم الجديد بعد أن قاطعوا الكليات التي أنشأها الإنجليز .[xxix]

وفاته:

توفى السرسيد أحمد بعد حياة حافلة بالأعمال والنشاطات متعددة الجوانب والأغراض في 4 من ذي القعدة 1315 هـ الموافق 1897م أصابه الصداع الشديد والحمى، وفارق الحياة في الليل، ودفن بجوار مسجده الذي بناه في وسط الجامعة.[xxx]

مؤلفاته:

لسرسيد مؤلفات عديدة منها:

1- تفسير القرآن الكريم وهو الهدى و الفرقان، مطبوع متداول

2- أسباب بغاوت هند،ط. خدا بخش اورينتل ببلك لائبريرى، بتنة، س.ن.

3- تحقيق لفظ نصارى. أنا مع جهد لم اطلع عليه.

4- تبيين الكلام فى تفسير التوراة و الإنجيل على ملة الإسلام، ط.مكتبة أحوث، لاهور، باكستان، س.ن.

[xxvii]- حيات جاويد1/318.

[xxviii]- نفس المصدر، 1/418-419.

[xxix]- سرسيد كى تعليمى تحريك، ، لأختر الواسع، ط.مكتبة جامعة لمتيد، دهلى، 1985م، ص، 23

[xxx]- حيات جاويد 1/346-348 و نزهة الخواطر،8/1175.

5- أحكام طعام أهل كتاب. أنا مع جهد لم اطلع عليه.
6- الخطبات الأحمدية فى العرب والسيرة المحمدية.ط. سرسيد اكيدمى، عليكره،2003م.
7- إبطال غلامي.(إبطال الرق فى الإسلام). أنا مع جهد لم اطلع عليه.
8- مقالات سرسيد،رتبه محمد إسماعيل.ط.زرين آرت بريس، لاهور، 1962م.
9- إزالة العين عن ذى القرنين.ط.محمد كالج بك دبو،على كره، 1910م.
10- مقدمة التحرير فى أصول التفسير، مطبوع مع تفسيره.
11- مضامين سرسيد أحمد خان، رتبه:عتيق احمد صديقى، ط. دوست ايسوايتس ، لاهور، س.ن.
12- جلاء القلوب بذكر المحبوب،أنا مع جهد لم اطلع عليه.
13- آثار الصناديد، اردو اكادمى، لكنهو،الهند، 1990م.

المبحث الثاني:
الإعجاز لغة و إصطلاحا:

لفظ الإعجاز مشتق من مادة (عجز)، وهي تدلُّ على معنيين أصليين، هما:الضَّعف ومؤخَّر الشيء.[xxxi]

فالأول عَجِزَ عن الشيء عَجِزَ يعجز عَجْزا، فهو عاجزٌ، أي ضعيف. والمعجزة والمعجزة العجز.[xxxii]

ويقال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجِزْت عن طلبه وإدراكه.[xxxiii]

وأعجزه الشئ، أي فاته.[xxxiv]

في الأثر: «ولا تلثوا بدار معجزة» أي لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والتعيش.[xxxv]

[xxxi]- معجم مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،حققه: عبد السلام محمد هارون،ط: دار الفكر،1399هـ/ 1979م،232/4.

[xxxii]- أنظر مقاييس اللغة،232/4. لسان العرب، ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر، بيروت، س.ن،430/5.

[xxxiii]- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض،الملقب بمرتضى ،الزَّبيدي، ط: مطبعة حكومة الكويت س.ن،211/12.

[xxxiv]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري،حققه:أحمد عبد الغفور عطار،ط: دار العلم للملايين ، بيروت،الطبعة الرابعة 1407 ه/م

[xxxv]-لسان العرب،محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (711هـ)،ط:دارالكتب العلمية،بيروت،1424هـ/2003م،430/5.و الأثر نسبه ابن منظورإلى سيدنا عمر رضى الله تعالى عته.

من الثاني،عجز الشيئ عجزه عجزه و عجزه آخره.[xxxvi]
فلان عجزة ولد أبويه، إذا كان آخرهم.[xxxvii]
وعَجُزُ بيت الشّعر خِلاف صَدره.[xxxviii]
و منه قول الحكماء لا تدبروا أعجاز أمور قد ولت صدورها و يريد بها أواخر الأموروصدورها.[xxxix]

الإعجاز اصطلاحا:

الإعجاز في الاصطلاح هو "أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق".[xl]

الإعجاز القرآن بالمعني الإضافي:

و معني إعجاز القرآن باعتبار مركبا إضافيا.إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به.[xli]ثم المطلوب من الإعجاز القرآني ليس الإعجاز لذاته،و إنما لازمه وهو إثبات أن هذا الكتاب حق وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق.[xlii]

وجوه إعجاز القرآن الكريم:

إن مما هو معلوم أن القرآن الكريم أعظم معجزة أنزل الله على سيدنا محمدصلى الله عليه وسلم(وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبينأولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)[xliii]
لذلك حاول العلماء معرفة إعجازالقرآن من أي وجه هو؟و قد خاضوا في ذلك فاختلفت أنظارهم و تبايت آراءهم. فمنهم من اقتصر على وجه واحد، و منهم من نوّع و عدّد وجوه الإعجاز في القرآن حتى أنهاها الإمام السيوطي إلى خمسة و ثلاثين وجها.[xliv]

[xxxvi]-المصدر السابق،432/5

[xxxvii]- الصحاح،750/2

[xxxviii]- تاج العروس،214/15

[xxxix]- لسان العرب،432/5

[xl]- التعريفات، الجرجاني ،علي بن محمد بن علي،ط:دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة الأولى ، 1405،ص،47

[xli]- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني،محمد عبدالعظيم،ط:دار الفكر،بيروت،الطبعة الأولى ، 1996،238/2

[xlii]- نفس المصدر238/2

[xliii]- العنكبوت،50-51،و قد اورد الإمام الباقلانى أدلة قرآنية كثيرة لإثبات كون الله تعالى جعل معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن و أنه بنى نبوته عليه.راجع كتابه :إعجاز القرآن،ط. عالم الكتاب،بيروت،1408هـ/1977م،ص،24و ما بعدها.

و فيما يلي ذكر أهم الآراء في إعجاز القرآن.

الرأي الأول:و هو أن وجه إعجاز القرآن اشتماله على البلاغة التي تتقاصر عنها سائرضروب البلاغات.ذهب إلى هذا الرأي الجاحظ[xlv] رحمهالله.

الرأي الثاني:و هو أن وجه الإعجازه مركب من أمور ثلاثة هي: أخبار الغيب التي أخبر عنها القرآن قبل أن تحدث. و الأخبار عن الأمم الماضية مع أمية الرسول صلى الله عليه وسلم و نظم القرآن البديع. هذا رأي الباقلاني[xlvi] رحمه الله.[xlvii]

الرأي الثالث:و هو أن وجه الإعجاز القرآن الكريم كامن في اختصاصه برتبة في الفصاحة خارجية عن العادة. جنحلهذا الرأي القاضي عبد الجبار[xlviii] رحمه الله.[xlix]

الرأي الرابع:و هو أن إعجاز القرآن في نظمه البديع وهو قول الجرجاني[l] رحمه الله[li]

[xliv]- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطى،حققه: علي محمد البجاوي،ط:دارالفكر،القاهرة،س.ن.1/14-514وعند التحقيق يظهر أن كثيرا من هذه الأوجه تندرج مع غيرها و تؤول جميعا إلى أربعة أوجه هي:1- وجه الإعجاز البياني.2- وجه الإعجاز العلمي.3- وجه الإعجاز التسريعي.4- وجه أنباء السابقين و أخبار المستقبل.راجع: إعجاز القرآن لفضل حسن،ص،164،(بدون البيانات)

[xlv]-الجاحظ:هوعمرو بن بحر بن محبوب أبو عثما نالبصرى، ولد سنة ثلاث و ستين و مائة الهجرية، كان كبيرا أئمة الأدب من أحد شيوح المعتزلة و المصنفين لهم. توفي سنة خمسة و خمسين ومأتين و قيل ست. من آثاره: التبيان و التبيين، الحيوان، البخلاء،و غير ذلك.[راجع ترجمته في: تاريخ بغداد،للخطيب البغدادي،ط: نشر دار الكتاب العربي،بيروت، س.ن.12/212-220،و طبقات المعتزلة،لأحمد المرتضى، حققه: نخبة من العلماء، 1380هـ/1960م,الأعلام،5/73]

[xlvi]- الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر المالكي البصري،ولد سنة ثلاثة و ثلاثمائة هجرية.كان إماما متكلما بارعا أصوليا فائقا انتهت إليه رئاسة المالكية و مذهب الأشاعرة في وقته. توفي سنةثلاث و أربعمائة. من آثاره إعجاز القرآن،دقائق الكلام،التمهيد و غير ذلك.[تاريخ بغداد،5/379-383،الأعلام،5/73

[xlvii]- انظر إعجاز القرآن،للباقلاني،50-52

[xlviii]- عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار القاضي أبو الحسن الهمذاني،كان إمام أهل الاعتزال في زمانه وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع. توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة.من آثاره: تنزيه القرآن عن المطاعن،المغني في أبواب التوحيد والعدل و غير ذلك.[طبقات الشافعية الكبرى، الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي،ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1413هـ،3/116-117، طبقات المعتزلة،ص،112-113،الأعلام ،3/273-274](لم أقف علي تاريخ ولادته)

[xlix]- انظر المغني في أبواب العدل و التوحيد،لعبد الجبار،حققه أمين الخويلى ، ط:دارالكتب،القاهرة،1380هـ/1960م،15/318

[l]- عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكركان من كبار علماء اللغة و واضح أصول البلاغة، توفي في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. من آثاره :أسرار البلاغة، ولائل الإعجاز،المغني في شرح الإيضاح و غير ذلك.[راجع ترجمته في: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،جلال الدين عبد

و قد ظهر في العصر الحديث اتجاه جديد لإعجاز القرآن الكريم و هو الإعجاز العلمي اهتم بالجانب العلمي للقرآن الكريم،و من أشهر هذه الوجوه هو إعجاز القرآن من جهة اللغة و الفصاحة و البلاغة و من جهة ما تضمنه من العلوم الكونية و الطبعية، و ذلك بالاستعانة بالمكتشفات الحديثة.

موقف سرسيد أحمد خان من الإعجاز اللغوي:

تناول السرسيد أحمد عند تفسيره لقوله تعالي:(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله)[lii]مسألة إعجاز القرآن الكريم. و فيما يلي استجلاء لموقفه من هذه المسألة.

أولا:يرى سرسيد أن القرآن الكريم قدوقع إليه التحدي الإلهي،و أن هذا التحدي صرف إلى قوم كانوا لا يعتقدون القرآن كلام الله موحا إلى نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم. يقول و هو يفسر آية التحدي المذكورة.

" خاطب الله المتشككين في كون القرآن من عنده تعالى إزالة لريبهم بأن:ائتوا إن كنتم غير معتقدية و حيا من الله بسورة مثله."[liii]

أما ما هو مناط التحدي عند السرسيد؟

إن القرآن الكريم من وجهة نظر سرسيد بلغ من حيث الفصاحة و البلاغة مبلغاً لا يرتقي إليه كلام البشرفيقول:

" بما أن القرآن وحي- و نسمية و حيا متلوا أو كلام الله- ألقي في قلب النبوة للنبي صلى الله عليه وسلم باللفظ دون المعنى، لزم أن تكون فصاحة بحيث لا يوجد لها نظير و لا مثيل"[liv]

الرحمن السيوطي(911هـ)،حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصري،136/2،الأعلام،48/4](لم أقف علي تاريخ ولادته)

[li]- لخص الجرجانى معنى النظم عنده فيقوله:" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو", و معنى كون الكلام يوضع موضعا يقتضيه علم النحو عنده أن يكون ترتيب اجزاءه من اسم و فعل و حرف موافقا لقواعد النحو، كان يكون ترتيب بين اسمين ، كقولنا: الوحدة قوة. أو بين اسم و فعل مثل:ربح المجاهدين. أو يكون هناك حرف يربط بين الأسماء و الأفعال، كقولنا:نصلي في الأقصى. هذا هي البتة الأولى في النظم خند الجرجانى. و هناك لبنة ثانية لا بد منها و هي ترتيب المعانى في النفس أولا ثم اختيارالألفاظ تتفق مع هذه المعاني.و بالإحتصار تتلخص نظرية النظم عند الجرجانى في أمرين:أولهما:ترتيب المعانى في النفس, و الثانى:ترتيب الكلمات في النطقز [راجع التفصيل في:دلائل الإعجاز، للجرجانى، تعليق:محمد التنجي،ط:دارالكتب العربي،بيروت،1420هـ/1999م،ص،76-81، إعجاز القرآن الكريم: لفضل حسن،69-72

[lii]- البقرة،23

[liii]- تفسير القرآن، يسرسيد أحمد خان،ط: دوست ايسوسي ايتس،لاهور،س.ن.36/1

[liv]- تفسير القرآن،37/1

مع اعتراف السرسيد للقرآن الكريم بعلوّ مقامه و سموّ مكانته من جهة فصاحة و بلاغة على سائر كلام البشر، فإنه
لا يعتبر إعجازه من الجهة اللغوية.[lv] و قد صدر السرسيد في إنكاره هذا عن دليل من القرآن الكريم، بالإضافة إلى استشهاده
بواقع كلام الناس.
أما الدليل من القرآن فقول الله عزوجل: (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين)[lvi]
يقول سرسيد مبينا وجه دلالة هذه الآية على فكرته:
"التوراة ليست فصيحة و إنما هي كلام عادي؛ لأن جميع مضامينها- عدا التشريعات القومية و الموضوعات التاريخية التى أضافها إليها جامعوها- ليست وحيا باللفظ، سوى الأحكام العشرة التى كتبها موسى بيده فظاهر ان القرآن مهما كان فصيحا، فإن التحدى ليس على فصاحته و بلاغته و نظمه".[lvii]
و هذا الكلام من سرسيد في تبيين وجه دلالة الآية على مطلوبه يقتضى الشرح و البيان.
فوجه الدلالة من الآية الكريمة على نفى وقوع التحدي بالفصاحة و البلاغة عند سرسيد أنها وردت في جواب من أعلنوا الكفر بالتوراة و القرآن. فهي تطالبهم في مقابل كفرهم أن يأتو الكتاب يتّبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم شريطة أن يكون الكتاب من عند الله و أن يكون أهدى من التوراة و القرآن. و هذا الطلب الذى قرن في الآية بين التوراة و القرآن قد فهمه سرسيد على أنه تحدّ. مما يدل على أن الفصاحة و البلاغة لو كانتا مناط التحدي القرآني، لما جاء ذكر القرآن في هذا السياق مع التوراة التي هي ليست فصيحة.
و كذلك رأيه في التوراة من أنها وحيا بالمعنى دون اللفظ يفهم منه أن القرآن لكونه قرن في الآية بينه و بين التوراة وحياً بالمعنى. و إذا كان الأمر كذلك فإن التحدي فيه لا يصح أن يكون من جهة ما تضمنه من الفصاحة و ما اشتمل عليه من النظم؛لكونها مما يتعلقباللفظ، و القرآن ليس موحى باللفظ.
و أما استشهاد سرسيد بواقع كلام الناس على نفي الإعجاز من فصاحة القرآن و بلاغته،فيوضحه النص الآتي لكلامه."يوجد كثير من الناس ما لم يماثل كلامهم في الفصاحة و البلاغة كلام آخر، و لم يعتبر مع ذلك أنه كلام الله".[lviii]

[lv]- انظر تفسير القرآن،1/36-37

[lvi]-القصص،49

[lvii]- تفسير القرآن،1/37-38

[lviii]- تفسير القرآن،1/37

ثانيا: تقدم أن سرسيد أقرّ وقوع التحدي إلى القرآن الكريم، و إذا كان الوجه البلاغي ليس إعجازا للقرآن و مناط التحدي به عنده، فأي وجه ذلك الذي يصح اعتبار القرآن معجزا و متحدى به من جهته في نظره؟

ذهب سرسيد إلى أن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من الهداية هو الوجه في إعجازه و عليه وقع التحدي به.

و قد أسس سرسيد رأيه هذا على آية سورة القصص ذاتها و حال رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين. و قد تقدم أن الآية الكريمة مسوقة للتحدى في نظر سرسيد فما ورد فيها من ذكر للهداية هي مناط التحدي القرآني عنده. و لذلك يقول في تفسيرها منتصرا لرأيه:" قل للكفار أن يأتوا بكتاب هو أهدى من التوراة و القرآن. التوراة ليست فصيحة و إنما هي كلام عادي؛ لأن جميع مضامينها- عدا التشريعات القومية و الموضوعات التاريخية التى أضافها إليها جامعوها- ليست وحيا باللفظ، سوى الأحكام العشرة التى كتبها موسى بيده، فظاهر أن القرآن مهما كان فصيحا، فإن التحدي ليس على فصاحته و بلاغته و نظمه و إنما على هدايته".[lix]

و اما اشتهاده بواقع رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين، فيتولى توضيحه النص الآتي من كلامه.

" إن المخاطبين بهذه الآيات (يقصد آيات التحدي) هم العرب، و عليه فينغي رسم صورة فيالذهن لحال العرب وقت نزول القرآن الكريم بحيث تثبت أمام الأعين.كان العرب قوما نهابا سراقا قطاع الطريق.البغض و العداوة و الحقد التى هي أخسّ الخصائص الإنسانية تغلغلت في عروقهم. سارت بينهم إراقه الدم و الضراوة و قتل الأولاد لدرجة لا يوجد لها نظير في أمة أخري تختم عليهم الجهل و الأمية، كان شغلهم الشاغل شرب الخمر و عبادة الأصنام، كانوامبتعدينمن الأمم الأخرى في مكان لم يصلهم فيه نور العلم و التربية. ثم ظهر من بينهم رجل قضى بين ظهرانيهم أربعين عاماً من عمره بالنور الربّاني الذى جعله الله في نفسه بمقتضى الفطرة. فبيّن في صراحة حقائق التربية الروحية في عبارات كان العالم و الفيلسوف و الدهري و الجهال و البدوّ على السواء في الاستهداء منها، و التى لم يكن بالإمكان أن يبيّنها غير الله. لم يكن بالإمكان بحسب قانون الفطرة أن تكون مثل هذه الأفكار و الأقوال و المواعظ التى ورد ذكرها في القرآن صادرة من رجل من هذا القوم بدون فطرة النبوة التى أودع الله إياها في أنبيائه .... و فيه قال الله: إن كنتم تشكون في كونه من عند الله(فأتوا بسورة من مثله)[lx]

[lix]- المصدر السابق،1/37-38

[lx]- تفسير القرآن، 1/9-38

تحليل موقف سرسيد:

لقد علمنا من خلال العرض السابق ما انتهى إليه سرسيد أحمد من الرأي في إعجاز القرآن الكريم. و هو رأي خرق به السرسيد إجماع علماء المسلمين- قديما و حديثا – وهو أن الوجه اللغوي هو اعظم و أشهر وجه لإعجاز القرآن الكريم.[lxi]

و إذا كان هذا الوجه قد انعقد على إثباته الإجماع من هؤلاء- أهل الفن- فإن إنكار سرسيد له مما يفضي إلى العجب.

و على أية حال، ففي السطور القادمة نتعرض لموقف السرسيد من إعجاز القرآن الكريم.

أولا: عند من نرى بإمعان النظر في آية القصص وجدنا أن القرآن يتكلم عن الهداية – ولا ريب في ذلك و لكن ليس ذلك محل التحدى حتى ينكر بها الإعجاز اللغوى للقرآن الكريم.

قال الشيخ ثناء الله [lxii] رحمه الله - مستدركا على سر سيد ربطه الآية بالتحدي: " ليس لهذا المضمون (يقصد مضمون آية القصص) من علاقة بآية التحدي. وإنما فيه إلزام للكفار بأنكم رغم أنكم لا تملكون أي كتاب سماوي، فإنكم مع ذلك مصرون على المخالفة. فإن كنتم أيضا على العلم بالدين فلتأ توا بكتاب يطلعكم عليه ؛ ليتبين الحق بجانب منا؟" [lxiii] وأورد قوله تعالى: (أم لكم كتاب فيه تدرسون)[lxiv] تأييدا لقوله آنف الذكر في تفسير آية القصص. ثم قال ما يفيد:

(لو كانت آية القصص تفسيرا لآيات التحدي (كما يعبر به استدلال سر سيد) لوردعليه أن الآية فيها طلب من الكفار أن يأتوا بكتاب من عند الله تعالى. في حين أن آيات التحدي فيها طلب منهم أن يأتوا بكتاب من وضعهم).[lxv] ثم أشار إلى تصرف سر سيد في تفسير آية القصص، حيث أهمل في التفسير ذكر قيد (من عند الله) ؛ لأنه كان يضره. [lxvi] وإذ تبين من هذا البيان كون قوله تعالى(قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم

[lxi]- انظر: الإعجاز البياني للقرآن(دراسة قرآنية لغوية و بيانية)، لعائشة عبد الرحمن،ط:دار المعارف، القاهرة،س.ن.ص،82،و إعجاز القرآن، لفضل حسن،ص،29

[lxii]- ثناء الله ،هو ابن محمد الكشمري ثم الأمرتسري، أحد الفضلاء المشهورين بالمناظرة. ولد سنة سبع وثمانين ومائتين وألف من الهجرة. كتب في الرد على مرزا غلام القادياني والآية. توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة وألف. من آثاره: تفسير القرآن بكلام الرحمن في تفسير القرآن ، التفسير الثنائي، تقابل ثلاثة. [راجع ترجمته في نزهة الخواطر 105/8-106.]

[lxiii]- التفسير الثنائى،الأمرتسري ،ثناء الله،بن محمد(1367هـ)،ط: إدارة ترجمان السنة،لاهور،س.ن.44/1

[lxiv]- القلم،37

[lxv]- انظر التفيير الثنائى،44/1

[lxvi]- المصدر السابق،45/1

صادقين)[lxvii] ليس لها علاقة بمسألة التحدي، فاستدلال سرسيد بها على إثبات الهداية الوجه في التحدي وضع لها في غير موضعها.

تحليلاستشهاد سرسيد بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين:

لقد ذكرنا تبيين وجه استشهاد سرسيد بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم و العرب الجاهليين علىجعل الهداية الوجه المتحدي به القرآن. وهو منقوص بالبيان الآتي: إنه إن صح جعل الهداية مناط التحدي بناء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبق له -وهو بين ظهراني قومه الجاهليين- العلم بها، فإن هذا لا يصير مانعا من اعتبار الفصاحة والبلاغة وجها معجزا للقرآن ومناط التحدي به.

فأي ضير في اعتبار فصاحة القرآن التي لا يوجد لها نظير في كلام العرب وجه الإعجاز؟ وأي بأس في اعتبار بلاغة القرآن التي لا يوجد لها مثيل في كلام العرب وجه الإعجاز؟ فما الذي يحول دون اعتبار الفصاحة والبلاغة التي لا ترتقي إليها همم العرب ولا تبلغها قدرتهم وطاقتهم وجه إعجاز القرآن ومناط التحدي به، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف من حاله أنه كان متمرسا لأساليب كلام العرب وفنونه؟

لا شيئ يحول دون الإعتبار ذلك بطبعية الحال، فلا اعتبار- إذن- لقصرسرسيدصفة الإعجاز والتحدي على هداية القرآن الكريم.

على أنا لو جعلنا واقع العرب معيارا للتحدي لصار قصر صفة التحدي على فصاحة القرآن وبلاغته أمرا لا مندوح منه. ولنذكر بعض المواقف التي وقفها بعض العرب الجاهليين تجاه القرآن الكريم تأييدا لما قلناه آنفا: فهذا الوليد [lxviii]يقول في القرآن حينما تلي عليه بعض آياته قولته المشهورة."والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة وإنه مثمرا أعلاه مغدق أسلفه، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته " [lxix]وهذا أبو جهل [lxx]يجتمع مع ملأ من

[lxvii]-القصص،49

[lxviii]- الوليد، هو ابن المغيرة بن عبد الله أبو شمس. مات كافرا بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن خمس و تسعين سنة [راجع: الكامل في تاريخ،لابن الأثير،تعليق:مجموعة من العلماء،ط: دارالكتب العربي،بيروت،س.ن.2/48

[lxix]- أخرج هذه الرواية البيهقي في (دلائل النبوة)بإسناد عن ابن عباس،باب:اعتراف مشركى قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز و أنه لا يشبه شيئا من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة و أرباب اللسلن. و ذكر أن له أربع روايات أخري و أن ذلك "يؤكد بعضه بعضا "[راجع دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد البيهقي،ط: دارالكتب العلمية، بيروت، 1433هـ/2002م،2/198-199.

قريش لينظروا في أمر دين الإسلام حيث هلعهم انتشاره ، فكان مما جرى بينهم من الكلام: " لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالسحر و الكهانة و الشعر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره. فقال عتبة [lxxi]لقد سمعت يقول السحرة والكهانة والشعر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي إن كان كذلك فأتاه فلما أتاه قال له عتبة يا محمد أنت خير أم هاشم[lxxii]؟ أنت خير أم عبد المطلب[lxxiii]؟ أنت خير أم عبد الله[lxxiv]؟ فلم يجبه قال: فيم تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا؟، فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لكفكنت رأسنا ما بقيت، وإن كان بك الباءة[lxxv] زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعقبك[lxxvi] من بعدك، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت لا يتكلم، فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم.حم تنزيل من الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون)- فقرأ حتى بلغ- (أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)[lxxvii]فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه.[lxxviii]

[lxx]- أبو جهل، هو عمرو بن هشام بن المغيرة، و كنيته أبو الحكم، أبو جهل لقب،قتل يوم بدر كافرا في السنة الثالثة من الهجرة [راجع: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، حققه: عبد السلام هارون،ط:دار المعارف، القاهرة،س.ن.ص،145، التبيين في أنساب القرشيين، لابن قدامة، حققه:محمد نايف الدليمي،ط.المجمع العلمي العراقي،1402هـ،ص،316]

[lxxi]- عتبة: هو ابن ربيعة بن عبد شمس، كان من سادات قريش.قتل يوم بدر كافرا في السنة الثانية من الهجرة.[راجع:جمهرة أنساب العرب،ص،14 ،التبيين في أنساب القرشيين،176

[lxxii]- هاشم: هو عمرو بن عبد مناف بن قصى، و هاشم لقب له (لهشمة الثريد لقومه). كان من أشراف قريش.[راجع: جمهرة أنساب العرب،ص،14،التبيين في أنساب القرشيين،ص،39،149

[lxxiii]- عبد المطلب،هو شيبة بن هاشم بن عبد منافبن قصى، و إنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشما حمله إلى مكة- في قصة جرت لشيبة- و قد غيّرته الشمس، فقال أهل مكة هذا عبد المطلب. كان من أشراف قريش.[جمهرة أنساب العرى الله ،ص،14،و التبيين في أنساب القرشيين،ص،37]

[lxxiv]-عبد الله: هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[lxxv]- الباءة، النكاح و سمي كذلك لأن الرجل يتبوّا من أهله يستمكن من أهله كما يتبوأ من داره.[راجع: لسان العرب،(مادة بوأ)، 42/1

[lxxvi]- العقب، الولد و النسل،[راجع نفس المصدر،(مادة عقب)716/1.

[lxxvii]- فصلت،1-13

[lxxviii]- أخرج الرواية البيهقي في (دلاءل النبوة)، باب اعتراف مشركى قريش بما في كتلب الله تعالى من الإعجاز،2 /202-204. و أحرجهما كذلك عبد الله ابن أبي شيبة في (مصنفة) ببعض الزيادة، كتلب:المغازي، باب أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم و ما لقي منهم ، رقم حديث37557،عن جابر بن عبدالله.ط:مكتبة الرشد،بيروت،1427هـ/2006م،13/207-210روي ابن أبي شيبة هذه الرواية بسنده عن

و في رواية حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السجدة فسجد فيها ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت قال فأنت وذاك.فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أني والله قد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي. خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه. فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ. فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به. قالوا سحرك - والله - يا أبا الوليد بلسانه. فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم.»[lxxix]

فعلام يدل قول المغيرة في القرآن الكريم:"إن له لحلاوة و إنه له لطلاوة...."؟ هل كان يعني المغيرة بالحلاوة حلاوة الهداية القرآنية التى كان هو و أمثاله لا يطيقون سماعها و ينفرون منها لأنها كانتتسفح عقولهم؟ أم كان يعني بالحلاوة فصاحة القرآن و بلاغته؟ لا شك أنه عنى هذا. لأن العرب كانوا أهل هذه الصنعة،و القرآن الكريم في الطبقة العليا من الفصاحة و في الدرجة القصوى من الفصاحةز و لهذا لما سمع المغيرة القرآن استولى على
قلبه و جعله مشدودا إليه، فقال فيه ما قال.

و هكذا قول عتبة في القرآن الكريم:"لقد سمعت قول السحر والكهانة والشعر، و علمت من ذلك علما.....الخ" لم يرد عتبة إلا ما كان عليه القرآن من الفصاحة و البلاغة،و لهذا نفي عنه أن يكون من كلام الساحرأو الشاعر.

يقول شيخ ثناء الله امرتسرى " لوكان المراد من المثلية [lxxx]المثل في الهداية، لكان المراد الكلام لم يكن له معنى: إذ لم يخطر يوماً ببالهم(يقصد المشركين) أنّا إن اجتمعنا على أن نأتى بكتاب في الهداية مثل القرآن أتينا به. بل كانوا يستنكرون بشدة هداية القرآن، كانوا يقولون

علي بن مسهر عن الأجلع ع الذيال بن حرملة عن جابر، علي بن مسهر و هو الكوفي: ثقة.[راجع:تقريب التهذيب، ط: دارابشائر الإسلامية، بيروت،1408هـ/1988م،ص،405،الأجلح هو ابن عبدالله الكندي: صدوق،[تقس المصدر،ص،96]

و ذيال بن حرمة و ثقة ابن حبان.[راجع: تعجيل المنفة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية، جيدر آباد، الدكن،1324هـ،ص،12. فإسناد هذه الرواية جسن، إن شاء الله.

[lxxix]- أخرجها البتهقي في (دلائل النبوة) ، باب: اعتراف مشركى قريش بما في كتلب الله تعالى من الإعجاز،205/2،و هذه الرواية مرسلة إذ قال فيها:"محمد بن كعب قال :حدث أن عتبة بن ربيعة ....." و محمد بن كعب جو القرضي أحد التابعين الثقات.[راجع:تقريب التهذيب، 212/2، و مرسل التابعي لا يحتج به إلا بشروط اشتراطها بعض الأئمة لا تنطبق على هذا المرسل، لكن هذه الرواية عضدت بالروايات السابقة.

[lxxx]- إشارة إلى قوله تعالى:(فأتوا بسورة من مثله)[البقرة، 23]

مرارا: بدّل هذا القرآن و ائت بكتاب غيره [lxxxi] إنه يسبّ آلهتنا و لم يكن الوجه المعقول عندهم لتكذيبهم للقرآن سوى:(أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ).

"فالقول لهؤلاء الذين تبرّؤا من القرآن و هدايته غير ملتفتين إليها، القول لمثل هؤلاء: ائتوا مجتمعين بكتاب- كالقرآن- يهدي الأنام. كقول هندوسي أو نصراني لمسلم قد تبرأ من تعاليم الكتاب عندهم: إن كنت لا تؤمن بكتابنا المتضمن دعوة إلى الوثنية و التثليث فأت بكتاب مثله في الهداية". [lxxxii]

و لعل مما يدل على فساده أيضا أن الله تحدي العرب أن يأتوا و لو بأحاديث مفتراةمختلقة. حيث قال:(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)[lxxxiii]فكيف يتصور وقوع التحدي بالقرآن من جهة ما اشتمل عليه من الهداية، و هي بعيدة كل البعد عن الكلام المفترى المختلق؟!

تحليل استشهاد سرسيد بواقع كلام الناس:

بينا فيما سلف وجه استشهاد سرسيد بواقع كلام الناس على نفى الإعجاز فيالقرآن من جهة ما فيه من الفصاحة و البلاغة. و هو مما يمجه العقل و يلفظه. و يدل على بطلانه ما تأتي.

دعوى أن كثيراً من الناس من لا يوجد لكلامهم في الفصاحة و البلاغة نظير و لامثيل، دعوى باطلة، فلم و لن يحصل أن يظهر بليغ بكلامه أو شعره و يعجز الآخرون عن معارضة.

يقول الشيخ عبد الحق[lxxxiv]معقبا على استشهاد السرسيد بواقع كلام الناس على إنكار إعجاز القرآن بفصاحته و بلاغته:"أي ذلك الكلام البشري الذى لم يماثله إلى اليوم في الفصاحة و البلاغة كلام آخر مع قيام التحدي.نعم،لو ألف أحد كتابا بديعا و لم يدع معيّرا فصحاء زمانه و بلغائه إلى معارضته،و اتفق أن لم يرفع أحد منهم قلماً للكتابة لمدة، فلا يسّلم هذا الكتاب من هذا الوجه أنه منزل من عند الله، و لكن لا يكون التحدي بقطعة من كلام مع دعوة الناس ألى الاجتماع على معارضته، و قد ثبت أنهم حاولوا المعارضة ولكنهم كفوا عن الإتيان بكلامهم،

[lxxxi]- إشارة إلى قوله تعالى:(وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله) [يونس،15]

[lxxxii]- التفسير الثنائى،1/43-44

[lxxxiii]- هود،13

[lxxxiv]- عبد الحق:هو ابن أمير الدهلوى الشيخ العالم الفقيه المفسر المشهور. ولد ب(كمتهلة) قرية من أعمال (أنباء) من أرض بنجاب سنة سبع و ستين ومائتين و ألف من الهجرة. و توفي سنة خمس و ثلاثين و ثلاثمائة و ألف من آثاره: فتح المنان في تفسير القرآن،التبيان في علوم القرآن، عقائد الإسلام، التعليق على الحسامىز[راجع ترجمته في: نزهة الخواطر،8/241-242]

لعلمهم بما فيه من نقص، بل و كان أضحوكة عند بني جلدتهم، لا يكون هذا إلا دليلا صريحا على أنه من عند الله"[lxxxv].

الرأي المختار في إعجاز القرآن الكريم:

تناول علماءنا الأجلاء مسألة إعجاز القرآن الكريم و بحثوها بحثاً وافياً. و مما اتفقتعليه كلمتهم أن الوجه اللغوي هو أعظم و أشهر وجه لإعجاز القرآن.[lxxxvi]و لا يقصد بذلك إنكار الوجوه الأخرى -حاشيا و كلا- واختلفو فيما عداه من الوجوه ما بين مؤيد لها و معارض[lxxxvii]

و الراي الذي يميل إليه الباحث و يختاره في ذلك تحقق الإعجاز اللغوى للقرآن الكريمو عليه يصح التحدي به.

لهذا الرأي مرجّحان، هما:

المرجح الأول: إن هذا الوجه سارٍ في القرآن كله منظم له في سورة على اختلافها طولاًو قصراً. و القرآن الكريم- كما سبق-معجز و متحدى بقليله و كثيرة. و هذه النقطة في غاية الأهمية لا يحسن إهمالها عند بحث مسألة الإعجاز.

المرجح الثاني: إن المعجزة إنما تكون من جنس من برع فيه قوم كل نبي[lxxxviii].و القرآن الكريم- المعجزة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم- نزل في قوم كانت البلاغة سجيّتهم و التفنن في الكلام فطرتهم. و من هنا كان إعجازه ببلاغته الخارقة و نظمه البديع.

خلاصة القول:

ليس القول بعدم الاعتداد بالوجوه التي تقدم عليها آنفا في مسألة الإعجاز والتحدي يعني تجريد هذه الوجوه من الفائدة بالكلية. وتوفية للموضوع حقه رأينا أن نختم هذا المبحث بذكر تلك الفائدة المنطوية عليها تلك الوجوه في القرآن الكريم. فنقول:

إن ما اشتمل عليه القرآن الكريم من علوم كونية – شريطة تحققها – وأخبار الغيب والشرائعوغيرها تؤخذ من القرآن الكريم على أنها دلائل صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق فيما أخبر به.

عرض القاضي عبد الجبار للكلام على وجه (الإخبار عن الغيب) ، فذكر فائدته قائلا: " هذا الوجه مما يدل على النبوة" [lxxxix]ما فيه من ذلك يعد دليلا على أن القرآن من عند الله تعالى [xc]

[lxxxv]- مقدمة فتح المنان،لعبد الحق،ط: نور محمد كارخانة تجارت كتب،كراتشي،س.ن.،124/1

[lxxxvi]- انظر: الإعجاز البياني للقرآن،لعائشة،ط: دار المعارف، القاهرة،س.ن.،ص،82

[lxxxvii]- راجع:الإعجاز في دراسات السابقين، لعبد الكريم الخطيب، و إعجاز القرآن،لفضل حسن.

[lxxxviii]- انظر:المواقف في علم الكلام،ص،354،شرح المقاصد لمسعود التفتازاني،حققه:عبد الرحمن عميرة،ط:عالم الكتب، بيروت1419هـ/1998م،ص،18/5

فثبت من هذه الأطروحة أن القرآن له وجوه الإعجاز. و الإعجاز اللغوى من أشهرها و أوضحها و أمثلها،وعلينا أن نقف مع الوسطية و لا يصح إنكار شيئ من ذلك و الحمد لله تعالى أولا و آخرا و الصلوة و السلام على نبينا محمد و على آله و صحبه و سلم.

[lxxxix]- المغني، 281/16.

[xc]- مقدمة الظاهرة القرآنية 31.

المصادر والمراجع

1...آثار الصناديد، ،ط. اردو اكادمى، لكنهو،الهند 1990م

2...الإعجاز البيانى للقرآن(دراسة قرآنية لغوية و بيانية)، لعائشة عبد الرحمن،ط:دارالمعارف، القاهرة،س.ن.

3...إعجاز القرآن للباقلانى،ط. عالم الكتاب،بيروت،1408هـ/1977م

4..بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(911هـ)،حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية

[5]- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ،أبو الفيض،الملقب بمرتضى ،الزَّبيدي، ط: مطبعة حكومة الكويت س.ن

6 ....تاريخ بغداد،للخطيب البغدادي،ط: نشر دار الكتاب العربي،بيروت، س.ن

7.....التبيين في أنساب القرشيين، لابن قدامة، حققه:محمد نايف الدليمي،ط.المجمع العلمي العراقي،1402هـ

[8]- تذكرة سر سيد أحمد خان، لزاهد جوهدرى، ط.شركت برنتك بريس، لاهور، باكستان، س.ن.

9..تذكرة علماء الهند، ، لرحمن على ،مترجم:محمد أيوب القادرى، ط. طبع مشهور آفست،كراتشى، باكستان 1961م،

10...تعجيل المنفة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لابن حجر، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية، جيدر آباد، الدكن،1324هـ

[11]- التعريفات، الجرجاني ،علي بن محمد بن علي،ط:دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة الأولى ، 1405

12...تفسير القرآن، لسرسيد أحمد خان،ط: دوست ايسوسي ايتس،لاهور،س.ن.

13...تفسير القرآن بكلام الرحمن ،التفسير الثنائي، للشيخ ثناء الله أمرتسرى، اردو بازار لاهور س.ن

14..تقريب التهذيب، ط: دارابشائر الإسلامية، بيروت،1408هـ/1988م،

15...حيات جاويد، لألطائف حسين حالى، ط.زاهد بشير برنترز،لاهور،2000م

16...الخطبات الأحمدية فى العرب و السيرة المحمدية ، للسرسيد أحمد خان، ط. مسلم برنتك بريس، لاهور، س.ن.

17..دائرة معارف اسلامية، ط دانش كاه بنجاب،لاهور، طبعةالثانية.1980م

18..دلائل النبوة و معرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد البيهقي،ط: دارالكتب العلمية، بيروت، 1433هـ/2002م

19...سرسيد كى تعليمى تحريك، ، لأختر الواسع، ط.مكتبة جامعة لمتيد، دهلى، 1985م

20....الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري،حققه:أحمد عبد الغفور عطار،ط: دار العلم للملايين ، بيروت،الطبعة الرابعة 1407 ه/م

21...طبقات المعتزلة،لأحمد المرتضى، حققه: نخبة من العلماء، 1380هـ/1960م

22...فيروز اللغات، ، لفيروز الدين، ط. فيروز سنز لميتيد، لاهور، باكستان، 1964م

23...الكامل في التاريخ،لابن الأثير،تعليق:مجموعة من العلماء،ط: دارالكتب العربي،بيروت،س.ن.

24....لسان العرب، ابن منظور،محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط: دار صادر، بيروت، س.ن

25...معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطى،حققه: علي محمد البجاوي،ط:دار الفكر،القاهرة،س.ن.
26..معجم مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،حققه: عبد السلام محمد هارون،ط: دار الفكر،1399هـ
27.....المغني في أبواب العدل و التوحيد،لعبد الجبار،حققه أمين الخويلى ، ط:دار الكتب، القاهرة،1380 هـ/1960م
28.....مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني،محمد عبدالعظيم،ط:دار الفكر،بيروت،الطبعة الأولى ، 1996ء
29....المواقف في علم الكلام،ص،354،شرح المقاصد لمسعود التفتازانى،حققه:عبد الرحمن عميرة،ط:عالم الكتب، بيروت1419 هـ/1998م
30...نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر،عبد الحي بن فخر الدين الحسينى ، ط.ادارة تأليفات الشرقية ، ملتان